

تقرير عن: مؤتمر «الجامعة في خدمة المجتمع: دور الجامعات العراقية في نشر ثقافة الحوار وترسيخ الوحدة الوطنية»

كلية العلوم السياسية، الجامعة المستنصرية - بغداد، ٢٣ تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٩

سعد سلوم(*)

كلية العلوم السياسية، الجامعة المستنصرية.

ثقافة حقوق الإنسان والديمقراطية، وإصلاح المؤسسات التعليمية بما يخدم تأهيل النظام التعليمي ودوره في المجتمع. ثم ألقى رئيس لجنة الثقافة في البرلمان العراقي أ. مفيد الجزائري كلمة اللجنة التي أشار فيها إلى أن الثقافة اليوم ليست محصورة بالجانب الأدبي، وإنما تمثل الثقافة داخل الجامعات أحد عناصر التنمية الثقافية في العراق.

ثم ألقى عميد كلية العلوم السياسية أ. د. ناظم عبد الواحد الجاسور كلمة عمادة الكلية واللجنة التحضيرية، حيث أشار فيها إلى أنه ليس هناك من دور فعال يمكن أن تؤديه أية مؤسسة من مؤسسات النظام السياسي في إشاعة وتعزيز حوار الثقافات في المجتمع وترسيخها كسلوك يومي في التعامل مع الآخر، والاعتراف بحقوقه الإنسانية والدينية، غير المؤسسات التعليمية، لكونها تضطلع بمهمة أخلاقية

أولاً: في أهداف المؤتمر

من أجل ترسيخ ثقافة التسامح وبناء الحوار بين مكونات المجتمع العراقي على أسس عادلة، والسعي إلى خلق ثقافة جامعية متحررة من البنى العصبوية والطائفية والتأثيرات الاجتماعية السلبية، والتشجيع على نبذ العنف وأشكال الإرهاب والتطرف السلوكي من خلال التعليم الجامعي، عقدت كلية العلوم السياسية، في الجامعة المستنصرية، مؤتمرها العلمي السنوي الثالث تحت شعار «الجامعة في خدمة المجتمع»، ومن خلال تسليط الضوء على دور الجامعات العراقية في نشر ثقافة الحوار وترسيخ الوحدة الوطنية.

وقد افتتحت أعمال المؤتمر بكلمة وزير التعليم العالي والبحث العلمي أ. د. عبد ذياب العجيلي، الذي أكد ضرورة أن تضطلع الجامعات العراقية بالدور الريادي في نشر

التأكيد أن التعليم هو جوهر كل ذلك، وهو أساس تقدم المجتمع، وترصين دعائم الوحدة الوطنية، ومشعل الحرية والاستقلالية.

وقد خصّصت الورقة الثالثة لتسليط الضوء على الأبعاد الاجتماعية والإنسانية للعملية التربوية التي عرضها د. علي عباس مراد، مشيراً إلى أن البعد الاجتماعي للتربية يستند إلى حقيقة أن الإنسان كائن مركب طبيعي عضوي وعقلي واجتماعي في آن واحد، ومؤكداً من خلال ذلك أن البعد الإنساني للتربية هو أن الإنسان نفسه العامل الأول والأساس في صناعة/ هندسة/ تكوين الإنسان وتعديله وتغييره هو، وفي آن واحد للمادة الأولية للحياة الإنسانية، والعنصر الأساسي المؤثر فيها وصانع طبيعتها وخصائصها الفردية والاجتماعية، وستكون تربية/ صناعة/ هندسة الإنسان للإنسان هي الوسيلة الأولى والوحيدة لتكوين وبناء الخصائص الفردية والاجتماعية للناس من خلال صناعة/ هندسة/ تكوين أفكارهم وقيمهم وسلوكياتهم وتعديلها وتغييرها.

في الورقة الرابعة سلط أ. عبد الرزاق الصافي (كاتب ومحلل سياسي) الضوء على دور التسامح في تعزيز الحوار بين مكونات المجتمعات، مؤكداً أن منتسبي الجامعات العراقية ينتمون إلى طوائف وأديان متعددة يزخر بها المجتمع، وأن ترسيخ ثقافة التسامح والحوار البناء بينهم يقدم خدمة كبرى إلى مجتمعتنا، بحكم أن طلبة الجامعات هم الجيل المرشح لقيادة الشعب في المستقبل. ومن هنا، وحسب ما طرحه الباحث، فإن استكمال النظام الديمقراطي المنشود لا يمكن أن يتم دون ثقافة

وتربوية في الوقت نفسه، وتمثل منظومة متكاملة الحلقات تبدأ برياض الأطفال وحتى المراحل الجامعية.

ثانياً: الجلسة الأولى: خمس أوراق

توزعت أعمال المؤتمر على جلستين، حيث ناقشت الجلسة الأولى التي ترأسها أ. د. جواد مطر الموسومي، رئيس جامعة واسط، خمس أوراق.

وقد طرح الورقة الأولى الأب د. يوسف توما، مؤسس جامعة بغداد المفتوحة للعلوم الإنسانية، وكانت بعنوان: «من حوار الثقافات إلى ثقافة الحوار في الجامعات»، مؤكداً أن رسالة الجامعات هي تنوير العقول وقلوب الشباب في هذا العصر، مشيراً إلى أن التربية، ومنذ زمن سقراط وحتى الآن، لا تختزل إلى مجرد تكديس للمعارف أو لمهارات تقنية، لكنها تربية انطلاقاً من كنوز التقليد الفكري الموجه نحو حياة فاضلة وأفضل.

أما الورقة الثانية، فقد عرضها أ. عبد السلام البغدادي، رئيس قسم الدراسات الأفريقية في مركز الدراسات الدولية - جامعة بغداد، وكانت بعنوان: «جامعة المستقبل: المحددات العلمية والأفاق الوطنية»، حيث انطلق في عرضه من أسئلة النهضة التقليدية: لماذا تقدم الآخرون وتأخرنا؟ لماذا تطورت شعوب أمريكا وأوروبا وبقينا نراوح في أماكننا؟ لماذا لحقت اليابان ودول شرقي آسيا والهند ودول أخرى بالركب والتقدم، وضللنا نحن الطريق، نبحث عن ضوء خافت في عتمة الدروب المتخلفة؟ وقد أفضت به هذه الأسئلة إلى

ثقافة الحوار والتعايش السلمي بين طلبتها خدمة لأمن المجتمع واستقراره ورفاهيته وتقدمه. ويشير الباحث إلى ظاهرة غريبة سرت في الجامعات العربية، ألا وهي سيادة ثقافة الإقصاء وإلغاء الآخر والعزل والتهميش الطائفي والعِرقي، وفرضت سطوة الرأي الأحادي (المطلق)، على الرغم من أن الدين الإسلامي جوهره التسامح واحترام رأي الآخر، ولا إكراه في الدين، مستشهداً بقول الإمام الشافعي عندما قال: «قولي صواب يحتمل الخطأ، وقول غيري خطأ يحتمل الصواب».

أما الورقة الثانية، فقد عرضها د. علي العقابي، وتناولت موضوع تحديث وتأهيل أركان النظام التعليمي، حيث إن هذا النظام التعليمي قد واجه التخريب المنظم والتسييس بشكل عشوائي، ممّا أفقده الجوهر الأساسي الذي يركز عليه، ولم تخصص له الموارد الكافية للنهوض بمؤسساته مقارنة بما يجري في دول العالم الأخرى، الأمر الذي دفع الباحث إلى تحديد عدد من المتطلبات الأساسية التي من شأنها الإصلاح والتحديث لمواكبة التطور الحاصل في الدول الأخرى، مشدداً على ضرورة إعادة النظر في نظام ومناهج التعليم وطرائق التدريس، والاهتمام الجدي بمكانة الأستاذ الجامعي، وحماية حقوقه، وضمان الأجواء السليمة لإشاعة العلم والمعرفة، والتشديد على الحريات الأكاديمية وصيانتها، واعتبار الحرم الجامعي صرحاً مقدساً لا يمكن انتهاكه والمساس به، وإشاعة الأساليب الديمقراطية في اختيار القيادات الجامعية الكفوءة، بعيداً عن المحاصصة الطائفية والحزبية، وربط التعليم بكل أنواعه، وخاصة التعليم العالي، بحاجات البلاد

ديمقراطية، والتسامح يشكّل في حدّ ذاته قيمة أصيلة في الثقافة الديمقراطية التي يفتقر إليها الشعب إلى حدّ كبير.

أما الورقة الخامسة، فقد عرضتها د. سحر نافع شاكر (أستاذة جامعية متقاعدة)، مسلّطة الضوء على دور الثورة المعلوماتية في تعزيز ثقافة الحوار في الجامعات العراقية، من خلال التجربة الميدانية التي عاشتها الباحثة في الجامعات العراقية، وما طرحته الصبغ العالمية المطبّقة في دول العالم لمفهوم التربية والتعليم، ومن ثم مقارنتها بما يجري على أرض الواقع في الجامعات العراقية. وقدمت الباحثة شرحاً مفصلاً لمفهوم الثورة المعلوماتية وإشكالية علاقتها بالثقافة التي تعدّ جهازاً فعّالاً ينتقل بالإنسان إلى وضع أفضل، وينقل المجتمع إلى وضع أفضل من خلال استخدام التقنية والمنجزات العلمية المتطورة.

ثالثاً: الجلسة الثانية: ست أوراق

توزّعت مناقشة **الجلسة الثانية**، التي ترأسها أ. د. رعد محيي الدين، عميد كلية طب الأسنان في الجامعة المستنصرية، على ست أوراق، حيث عرض أ. د. جميل مصعب محمود، من كلية العلوم السياسية - جامعة بغداد، **الورقة الأولى** التي جاءت بعنوان: «دور الجامعة في ترسيخ ثقافة الحوار»، مؤكداً أن الجامعة بمقدار ما إنها تمثل مجتمعاً علمياً، وإن وظائفها الأساسية تتمثل في البحث العلمي وخدمة المجتمع، وتنمية أفراده وطاقاته الإبداعية، فإن لها الدور الكبير والأساسي في الحفاظ على ثقافة المجتمع وهويته الوطنية، ونشر وتعميق

الجامعة وحاجات المجتمع، وكانت بعنوان: «التحول الديمقراطي نموذجاً»، وذلك من خلال تأكيده أن المؤسسة الأكاديمية (الجامعة) تعدّ مركزاً لنشر الوعي العلمي، وترسم آفاق المجتمع في التنمية والتقدم، وأن مقياس نجاح أي جامعة في العالم يكون بمدى ما تقدمه إلى المجتمع من خدمات وتلبية احتياجاته وحل مشاكله. ويشير إلى أنه من خلال المقارنة بجامعات العالم المتقدم، وحتى بتلك التي توجد في دول أقل تقدماً من العراق، نجد أن الجامعات العراقية أخفقت بشكل تام في تلبية حاجات المجتمع وتطلعاته. وهذا الأمر، كما يلخصه الباحث، يعود إلى العديد من الأسباب، والظروف التي أحاطت بتأسيس الجامعات واستراتيجية أدائها العلمي والأكاديمي.

وفي ما يتعلق بـ **الورقة الخامسة**، فقد عرضها د. **صالح عباس الطائي**، من كلية العلوم السياسية - جامعة النهرين، وكانت بعنوان: «دور الجامعات في ترسيخ ثقافة الحوار»، حيث أشار الباحث إلى شيوع الفلسفة الأحادية في الرأي والعقيدة في بلدان عالم الجنوب بعامة، واعتماد مؤسساتها السياسية والاجتماعية والثقافية سيادة الرأي الواحد المعبر عن فلسفة وإرادة السلطة الحاكمة، الأمر الذي ترتب عليه مصادرة حرية الرأي، والإرهاب النفسي والفكري، وتحطيم للأطر الثقافية والاجتماعية. وأكد الباحث أن إيجاد مناخ ديمقراطي جديد تسود فيه ثقافة الحوار وبناء الشخصية السوية، يتطلب عملاً دؤوباً في تقويض الفلسفة الأحادية، والمساهمة في عملية التغيير الاجتماعي والسياسي والثقافي من خلال العملية التربوية والتعليمية.

وإمكاناتها وآفاق تطورها، وتخصيص الموارد المالية للنهوض به أسوة ببقية دول العالم.

وبصد **الورقة الثالثة**، فقد عرضها أ. **مزهر الساعدي**، رئيس مؤسسة مدارك لدراسة آليات الرقي الفكري، وقد ناقشت موضوعاً حيويّاً انصبّ على الشراكة المؤجلة بين منظمات المجتمع المدني والجامعات العراقية، حيث أشار الباحث إلى أن الساحة العراقية ظلت، على الرغم مما شهدته من ولادة العديد من منظمات المجتمع المدني، بعيدة عن الأستاذ الجامعي الذي بقي متردداً في تأسيس كيان خاص، مكتفياً بالعمل كمستشار، أو كمحاضر، وانحصر التعاون في مجالات محددة. إلا أن هذا الوضع، وإن حكمته الظروف الأمنية، تبدل ببرزو عدة منظمات للأكاديميين الجامعيين، استطاعت تقديم طموحاتهم على شكل مطالب أكاديمية، إلا أنها سرعان ما تفرقت، وانخرطت أعدادها في المنظمات المدنية الأخرى، حسب المناطق والمحافظات، الأمر الذي أوجد شراكة اضطرارية لطرفي العمل، وإن اصطدمت بعدد من المعوقات، إلا أنها أسست لعمل إنساني وثقافي وفكري مشترك.

وفي الوقت الذي انحسر فيه دور المؤسسات الحكومية في الإنتاج الثقافي والفكري، أدت بعض مؤسسات المجتمع المدني التي احتضنت الكادر الأكاديمي دوراً طليعياً في ذلك، وأسست لمشاريع مهمة على مستويات متعددة، منها ما هو استشاري، ومنها ما هو تنفيذي ميداني.

وقد سلط د. **علي وتوت** في **الورقة الرابعة** الضوء على إشكالية العلاقة بين

فيما دخل الديني إلى الجامعة بممارسة مفتوحة للشعائر والطقوس كادت أن تحول الجامعة إلى تكايا أو حلقات للتثقيف الديني. وإزاء هذا الوضع الذي تعانيه الجامعات، يدعو الباحث إلى الوقفة الجادة للمراجعة في أداء الجامعة وإعادة النظر في علاقاتها بالسياسي والديني، وعدم تسييسها.



وقد خرج المؤتمر من خلال ما طرحته الأوراق التي تمت مناقشتها بعدد من **التوصيات**، ومن بينها: بناء مدرسة جديدة لإعداد قادة المستقبل، وضمان حرية وحرمة الجامعات العراقية وقدرسية ومشروعية وظيفتها الإنسانية والعلمية، واعتماد معايير الكفاءة العلمية والمهنية كأساس لاختيار القيادات الإدارية للمؤسسات التعليمية، وقيام الجامعات بإشاعة أجواء التسامح، وثقافة الحوار، والاعتراف بالآخر، والحرية في معتقداته □

أما **الورقة السادسة**، فقد انصبت على تناول موضوع في غاية الأهمية، ألا وهو «موقع الديني والسياسي في الجامعات العراقية»، التي عرضها أ. **نعمة العبادي**، مدير المركز العراقي للدراسات، حيث انطلق الباحث من أن دور الجامعات لا يقتصر على الدور المعرفي والبحثي، بل يتعداه إلى التأثير في المجتمع، وعقلنة السلوك الاجتماعي، وصياغة القيم الاجتماعية باتجاه العقلانية والموضوعية.

ويشير الباحث إلى أن الجامعات العراقية قد تأثرت بتغيير جذري في السنوات الست الماضية من وافد سياسي وصعود ديني، وتسابق السياسي والديني على تحقيق موطئ قدم في هذه الجامعات التي تحولت إلى ساحات صراع واضح، وأدى الأمر إلى تسييس مكثف للحياة الجامعية، وعزز العنف المتصاعد انتماء الجامعة إلى هذه الجهة أو تلك طلباً للحماية والمنعة من الآخر. وقد اختلط السياسي بالديني للعمل داخل الجامعة، وتبادلا الأدوار حيثما أمكن،